

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الرابعة والتسعون

البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتي من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز سن الثامنة عشرة من عمره ، إنه محمد بن إسماعيل البخاري (رحمه الله).

كم هي العجائب في حياة هذا الفتى ، من ذكائه وقوة حفظه وحرصه على العلم في فترة شبابه مما يجعله أتمودجاً رائعاً لشباب الإسلام في هذا الزمان.

ومما يدل على الجهد الكبير الذي بذله في طلب الحديث وكتابته قوله : " كتبت عن ألف شيخ وأكثر عن كل واحد منهم عشرة آلاف وأكثر، ما عندي حديث إلا أذكر إسناده ". فلك أن تتصور كم هي الأحاديث التي جمعها عن هذا العدد الكبير من الشيوخ عن كل منهم عشرة آلاف حديث أو أكثر .

وهل كان أولئك الشيوخ في مكان واحد حتى يمكن له أن يلقيهم بيسر وسهولة ، لا ، ليس الأمر كذلك ، بل كانوا في بلدان متفرقة وأماكن متباعدة ، يقول عن هذا الجانب من حياته : "لقيت أكثر من ألف رجل أهل الحجاز والعراق والشام ومصر لقيتهم كرات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرات، وبالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد " .

فيا ترى هل كان للبخاري سيارة خاصة يتنقل بها كل هذه التنقلات ، أم كانت له مقاعد محجوزة في الطائرات ، أم كيف كان ينتقل في ذلك الزمان ؟

إن هذه التنقلات شاقة على المتنقل حتى في هذا الزمان مع تيسر المواصلات وتطور الآلات ، فكيف كانت الحال البخاري (رحمه الله) في ذلك الزمان ، لا شك أن الله سبحانه وتعالى أعانه على ذلك ويسره له لما في قلبه من الإخلاص والإقبال على الله سبحانه وتعالى ، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح أحوالنا .

ولنا أيضاً وقفة أخرى في جانب من حياته ، هل كان البخاري رحمه الله في تلك الحال رجلاً جلدأ قوياً يتحمل مصاعب الطريق وعناء السفر ، وهل كان من الرجال الكبار الذين اعتادوا الأسفار ؟

نسمع الإجابة على هذا التساؤل من محمد أبي حاتم الوراق يقول : سمعت حاشد بن إسماعيل وآخر يقولان: كان أبو عبد الله البخاري يختلف معنا إلى مشايخ البصرة وهو غلام (أي أنه كان صغيراً حين ذاك)، فلا يكتب، حتى أتى على ذلك أيام، فكنا نقول له إنك تختلف معنا ولا تكتب، فما تصنع؟ فقال لنا يوماً بعد ستة عشر يوماً: إنكما قد أكثرتما على وألحمتما فاعرضا علي ما كتبتما فأخرجنا إليه ما كان عندنا فزاد على خمسة عشر ألف حديث فقرأها كلها عن ظهر القلب حتى جعلنا نحكم كتبنا من حفظه ثم قال أترون أي أختلف هدرأ وأضيع أيامي فعرفنا أنه لا يتقدمه أحد .

قال وسمعتهما يقولان كان أهل المعرفة من البصريين يعدون خلفه في طلب الحديث وهو شاب حتى يغلبوه على نفسه ويجلسوه في بعض الطريق فيجتمع عليه ألوف أكثرهم ممن يكتب عنه وكان شاباً لم يخرج وجهه .

وهذا الأخبار مع دلالتها على أنه يرحد وهو غلام صغير تدل أيضاً على تفوقه على الكبار وعلى أقرانه ممن يطلبون الحديث ، فقد كان آية في الحفظ (رحمه الله) ، وتدلل أيضاً على حرصه على الوقت من وجه آخر حيث يقول : أترون أي أختلف هدرأ . إضافة إلى حرص الناس عليه ليتعلموا منه الحديث ، فقد كانوا يعدون خلفه وهو شاب .

واسمع أيضاً إلى خبر آخر يدل على رحلاته في شبابه وتفوقه في الحفظ في تلك المرحلة ، قال أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث فقبلوا

متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا، و إسناد هذا المتن هذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لا أعرفه. وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه. وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون فهم الرجل، ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز. ثم انتدب آخر ففعل كما فعل الأول والبخاري يقول لا أعرفه. ثم الثالث. وإلى تمام العشرة أنفس وهو لا يزيدهم على لا أعرفه.

فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا، إلى العشرة فرد كل متن إلى إسناده وفعل بالآخرين مثل ذلك فأقر له الناس بالحفظ .

وعن يوسف بن موسى قال : كنت بالبصرة في جامعها، إذ سمعت مناديا ينادي يا أهل العلم، قد قدم محمد بن إسماعيل البخاري، فقاموا في طلبه، وكنت معهم فرأينا رجلا شاباً يصلي خلف الأسطوانة، فلما فرغ من الصلاة أحدقوا به وسألوه أن يعقد لهم مجلس الإيماء، فأجابهم، فلما كان الغد اجتمع قريب من كذا كذا ألف، فجلس للإيماء، وقال: يا أهل البصرة أنا شاب، وقد سألتموني أن أحدثكم، وسأحدثكم بأحاديث عن أهل بلدكم تستفيدون الكل.

ثم قال حدثنا عبدالله بن عثمان بن جبلة ابن أبي رواد بلديكم، قال حدثنا أبي عن شعبة عن منصور وغيره عن سالم بن أبي الجعد عن أنس أن أعرابيا جاء إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم وذكر الحديث...

ثم قال ليس هذا عندكم إن ما عندكم عن غير منصور عن سالم وأملى مجلساً على هذا النسق يقول في كل حديث روى شعبة هذا الحديث عندكم كذا، فأما من رواية فلان فليس عندكم، أو كلاماً هذا معناه...

هكذا كانت حالة ذلك الفتى الشاب يجتمع إليه ألوف من الناس يستمعون منه الحديث ، فأين هذا من شبابنا في هذا الزمان ، نسأل الله سبحانه وتعالى لشبابنا التوفيق والهداية .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .